الأشياء الصغيرة

قصة جديدة
بقلم سميرة عزام

هل ذهبت بعيداً ؟؟

لا تدري ، ولا تريد أن تدري بالضبط ! كل ما تريده هو ان تعيش في هذا الاحساس ، وان تستبقي طويلاً هذه المشاعر الحلوة ؛ ان تأخذ معها إلى محارتها شيئاً جديداً مختلفاً ! فكل شيء في وجودها يبدو قزماً امام هذا الاحساس حتى ابوهـا وامها وعمتها ومعلماتها !

ليذهبوا الى ابليس جميعاً !

ما ازهدها في ساعتها بمواعظهم ! ستسمعها بعد الآن في صبح ومساء وكلما اختلفت الى مكان او تخطرت في درب ، فتبتسم برثاء وتتفلسف بهزة رأس وتنكر اذناها وقلبها ونفسها ما تسمع حتى لتسخر من قيمها القديمة .

هؤلاء لا يفهمون ، اما هي فقد بدأت تفهم ! ولن تتأذى بعد من مزاح تنالها به الرفيقات اذ يقلن ، انت يا هذه حمقاء تعيش بعقلية ابيها وامها وعمتها العانس !

حقاً لقد كانتهم ، ثلاثتهم ، ولكنها الآن انسانة متجددة الاحساس ، وستبني وجودها بعد اليوم ، بحسها ، بارادتها ، لا بقولهم — ابيها وامها وعمتها العانس — لا تكوني كالأخريات الرعناوات فأنت غير اولئك اصلاً ونبتاً ، انت ، وانت ..

في الغد ستجتمع رفيقات الدرس عند السنديانة المنخوبة ، ويتحدثن في اشياء كثيرة وستمتد الايدي في حذر إلى الجيوب فتخرج بالرسائل المعطرة فتتفتح لها عيون الصبايا وقبلها قلوبهن .. وللمرة الاولى سيكون لها ما تقوله اذا شاءت ان تقول ، فلديها منه حكايا حكايا . وحتى لو صمتت — ولا يبعد ان يقعد بها الخجل فتصمت — فلن يكون صمتها صمت المقصر بل صمت الضنين ، وهي — لنفسها — ستحكي الحكاية بدقائقها الصغيرة التي تعيها جيداً ، فلطالما استعادتها كلما القت الى مخدتها رأساً او قبعت تحلم في زاوية الحافلة او سرحت في الدرس فلا تسمع منه إلا صوت الجرس .. وتلك صورته قريبة ، تستدعيها كلما أرخت جفناً فتوافيهـا مختلطة اولاً ثم تتضح وتتميز ، وتتبين جيداً الجبهة الملوحة السمراء والعين البنيّـة الداكنة والابتسامة التي هي أحلى ما في الوجه .

بودها لو يمر بها ساعة تكون معهن في حلقة الشجون فتصيح ولا حرج « إنه » !

ما اكبره في وجودها ! ولكن ما يعني رفيقاتها منه الا فضولهن في ان يعرفن هذا الواحد الذي جعـل من العنيدة المكابرة التي كانتها انثى سخيفة مثلهن !

وما عساهن قائلات لو عرفن ان عنادها قد تزحزح منذ طالعها الوجه الاسمر للمرة الاولى في السيارة العامة ؟

سيضحكن منها بلا شك ، وسيدركن انها مثلهن انسانة تحس ، وتتدله ! ألم يسمينها اللوح ؟ وكانت تشيح بكبرياء وتتعزى بقول امها وابيها وعمتها بانها ليست كالأخريات لانها نسيج مختلف وعنصر احسن صفاء ، ومثلها تكون الفتيات .

ما كان أحمقها !!

كانت المرة الاولى في سيارة الاجرة . دخل وجلس الى جانبها ولم يلتفت اليها ، ولكنها رأت صورته في المرآة المثبتة امام السائق ، فأحبت لون شعره وشكل شفته السفلى ! ونزل هو من السيارة قبلها وذهبت هي الى الكلية ونسيت وجهه ..

وكانت الثانية في احد محال بيع المرطبات .. ظمئت مرة فدخلت بكتبها تطلب شيئاً ، وكان هناك ، ولم تلتفت اليه . وشربت شرابها ودفعت للبائع بالثمن يقتطعه من ورقة نقد كبيرة ، فاعتذر بعدم وجود «الفكة» ، فاتجهت للفتى تستبدل الورقة ثم دفعت ثمن الشراب ! واعجبها انه لم يتطوع ليدفع الثمن عنها كما يفعل غيره من الرقعاء !

والمرة الثالثة كانت في دار الكتب قصدتها لتقرأ فصولاً مقررة من العقد الفريد فوجدته مكبّاً على كتاب (لعله مثلها من طلبة الآداب) وانصرفت الى كتابها ولما رفعت رأسها ضبطته يحدق الى وجهها . فلم تبتسم له .. ولكن سرها ذلك منه .

وكانت الرابعة والخامسة والعاشرة في دار الكتب ايضاً ، على غير موعد . وكانت قد انتهت من العقد الفريد .. ولكنها ظلت تذهب لتقرأ في العقد الفريد . وكانت تذهب في كل مرة وفي نفسها شوق لأن تراه هناك ! فما ان تدخل وتطمئن الى وجود رأسه فوق الكتاب حتى تتنفس بارتياح وتخف خطوتها

وهي تأخذ سبيلها الى مكانها المختار .

ولم تنس مرة انها ليست كالأخريات وانها كما تقول امهـا وابوها وعمتها العانس ، نسيج خاص ، فكانت تحييه تحية رزينة ثم تنصرف الى الكتاب انصرافاً قلقاً ، وتقرأ فلا تفهم في يسر وتنتفض بعصبية ثم تنظر إلى الوجـه الاسمر القريب نظرة مسروقة .

ورأته مرة يتململ ويغلق كتابه فنهضت وسارعت تسلم الكتاب الى قيّم المكتبة لتسبقه إلى الدرج ، ثم سمعت خطوه وراءهـا واحست به قربها وابتسم لها ونزلا السلم معاً واتجها معاً ايضاً الى الحافلة واستأذنها في الجلوس إلى جوارها وأصر على ان يدفع ثمن تذكرتها فعارضت ، ثم اسكتتها ابتسامة منه فيها بعض سخرية .. وفي الطريق عرف منها اسمها واسم المعهد الذي تنتسب اليه كما عرفت منه اسمه ، وعرفت ايضاً انه لم يكن طالباً كما توقعت . .

ولقد احبت اسمه . .

كما سرّها ألا يكون طالباً .. غراً ..

ولما افترقا .. احست ببعض قلق .. شعرت بانها جاملته اكثر من اللازم ، وخشيت ان تكون بعض عيون فضولية قد رأتها معه ولكنها في اعماقها استكانت إلى شعور غريب ..

وكثيراً ما رأته بعدها على غير موعد .. وكانت مؤمنة بان الصدفة وحدها هي صاحبة الدور . . فما هي بالخفيفة ، ولا هو من الطائشين .. فالتعمدُ هنا شيء تستبعده من الحساب ..

وقفت مرة الى كوة التذاكر في إحـدى دور العرض وابتاعت تذكرة ولما استدارت رأته خلفها ينتظر دوره فخفض لها رأسه في تحية ، وسارعت هي بالدخول واخذت مكانها قلقة مضطربة بعض الشيء ، وما لبث ان جاء وجلس في المقعـد المجاور .. وراحت تفكر في هذه الحركة .. هل تعمّدها ام هي الصدفة .. الصدفة المحض التي باتت من جانبها تؤمن انها احكمُ من ان تكون صدفاً وقد تكررت .. إذن لم يحاول هـذا الانسان ان يلاحقها ويهتم بها ؟ ان كان يفعل هـذا عن قصد وتدبر ، فستصده في حزم وتلزمه حدوده ، فهي ليست كالاخريات .. وهي غيرهن نبتاً ونشأة . . وهي ذات مبادىء ما ارخصتها قط .. وهذه امور تنكرها عليها تربيتها وابوها وامها وعمتها .. وهي .. وهي ، وتجاهلته فلم ترفع له عيناً ولكنها لم تملك إلا ان يغوصَ قلبها حين نهض الى بعض امره ، وما لبث ان عاد ببعض الحلوى وقدّم لها فاعتذرت ولم يقل لها شيئاً .. وابتسم ابتسامة تشرق على قسماته السمراء ، واكلها — اللئيم — وحده !!

وبدأ العرض وتزاحمت الصور فأعطتها عيناً بـلا فكر إذ شُغلت عنها بهذا الذي الى جانبها .. لم جاء .. وما يريد منها .. لم لا يحاول ان يبدأها بالحديث .. تراها كانت فظة قليلة حظ من الذوق حين اعتذرت عن حلواه ؟ . ما اسخفها ! وماذا لو اكلت وقد قبلت منه مرة ان يدفع ثمن تذكرة الحافلة ؟ . انهما متعارفان تماماً . او لا تعتبر تلك الجلسات في جو رزين تعبق منه رائحة الكتب كافية لان تطمئن الى صحبة هـذا الفتى المهذب اللطيف ؟ .

اي شعور يثار فيها كلما كان منها قريباً . . اهو قلق . . اهو اضطراب .. اهو انتشاء .. اهو سرور او غضب .. او هي كلها .. مجتمعة ؟ ؟

واحست بعينيه رغم العتمة تحملقان في وجهها ، فخفق قلبها في عنف وما عادت تتبين من الشاشة إلا ظلالاً .. اي وقح هذا ! . لو تمادى فستصرخ فيه « و . . احست بيده تقترب من يدها ، واصابعه تسعى مشتاقة الى اصابعها .. فلم تسحبها . احست بها

روايات واساطير وقصص

قروش لبنانية		
١٥٠	الاعدام	خليل تقي الدين
١٠٠	عمر افندي	لطفي حيدر
٣٠٠	وجوه وحكايات	مارون عبود
١٥٠	ليلة القدر	احمد مكي
١٥٠	صحون ملونة	رئيف خوري
١٥٠	قرف	فؤاد كنعان
١٥٠	الناس والاخرون	قدري قلعجي
٧٥	حورية البحر	محمود تيمور
٣٥٠	من اعماق الجبل	صلاح لبكي
١٥٠	تاريخ جرح	فؤاد الشايب
١٥٠	في قصور الخلفاء	صلاح المنجد
٧٥	في قصور الملوك	قدري قلعجي
٧٥	اساطير الامم	قدري قلعجي
٥٠	مجوسي في الجنة	رئيف خوري
٣٠٠	اساطير شرقية	كرم البستاني
١٠٠	النداء البعيد	احمد مكي
٢٢٥	اقزام جبابرة	مارون عبود
٣٠٠	القصص اللبناني	نخبة من الادباء
١٥٠	اوسكار وايلد	الياس ابو شبكة
١٥٠	الحب أقوى	رئيف خوري

من منشورات دار المكشوف

تطلب من جميـع المكتبات في الاقطار العربيـة

تتسمر الى المتكأ .. ومسح ببطن يده ظاهر يدها مسحاً رفيقاً ثم اخذ يدها بقبضته وشدّ عليها شداً عنيفاً، ولبثا هكذا الى ان أضيئت القاعة .. وغاظها ان تأتي النهاية سريعة هكذا .. فتخجل من نفسها وتزدري ضعفها .. وتنصرف دون ان تنظر الى وجهه . .

وفي تلك الليلة انكرت مخدتُها رأسها القلق ..

هل احبته ؟ ؟

لم يسبق لها ان احبت فأنى لمثلها ان تعرف إذا كانت هذه الهواجس حباً ؟ لو سألت إحدى صديقاتها المجربات فستحسن التشخيصَ وتستمرىء الافاضة . . ولكن لا . . ان الضعف لم يُؤثر عنها ولا تريد ان يفهم الناس أنها كالاخريات .. ذاتُ حماقات .. لو صدقت روايات الحب فهو ذا بحلاوته وقلقه يلم بها ليلا ونهاراً ، ويستأثر بتفكيرها فتنسى مَن حولها إلا حين تطالعها الوجوه .. وتدعى الى الطعام فلا تصيب منه إلا القليل اليسير .. وتخلو الى الكتاب فلا ترى غير صورته .. وتزهد في شؤونها المختلفة وكانت قبلا بها حفيّة .. فهي إذن كالبطلات .. بطلات الافلام والروايات، ولو اختلف بطلها عن اولئك الذين تظهرنا السينما على حكاياتهم ، فلهؤلاء فراهةٌ في اجسامهم ودقةٌ في ملامحهم ليست لفتاها .. فلو جلست قبلا ، فلحياتها بعد ان عرفته حدّان قبلٌ وبعد — لو جلست قبلا واطلقت خيالها كما تفعل كل فتاة وتمثلت صورة لفتى احلامها لتمنت له عينين اكثر سعة وانفاً احسن دقة ولاختارت له ذقناً ذات ثنية ولما شاءته ممعناً في سمرة وجهه هكذا . .

ولكن باي حق نعتبره فتاها .. أقال هو ذلك لها . ؟ أتراه ينظر الى هذه الاشياء الصغيرة بنفس العين التي تبصرها بها ؟ ؟ ولو تعقلت واطرحت اوهامها لما بدا من ذلك كله شيء ذو خطر . اي غرابة في ان يحادثها فتى أو يشتري لها مرة تذكرة وكثيرون غيره يفعلون هذا راضين لو سمحت ؟ . وماذا لو مست يده يدها في لحظة ضعف ؟ . لا ، هذا وهم سمحت له بان يأخذ من نفسها اكثر مما يستحق فتضخم وضاقت به وضاق قلبها الصغير وأسمت المارد الذي خلقته .. حبا .

وعزمت بينها وبين نفسها ألا تفسح له في قلبها ونفسها، وان تشيح عنه شأن الفاضلات من الفتيات .. وإلا فأي فرق بينها وبين اية رعناء ؟

واستراحت الى عزم ما لبث ان تهاوى .. حين رأته بعد ايام .. في الشارع وثار فيها احساسها العنيف حين اقبل وعلى شفتيه احلى ابتساماته يحييها ويدعوها حفيا الى فنجان شاي .. فارتبكت وحارت فيما تقول ولكنها وجدت نفسها مسوقة بارادته تأخذ مكانها في المقهى الهادىء الجميل لتجد امامها فنجان شاي لم تعرف له طعماً .. ولا شك انها ما فتحت فمها في تلك الجلسة إلا لتقول اشياء سخيفة تقطع بها حبل الصمت وتصرفُ بها عيني الفتى عن عينيها !

وانتهيا من شرب الشاي وقاما .. لا الى الشارع الذي يؤدي بها الى دنيا الناس ، بل الى آخر يستقيم وينعطف حتى ينتهي بهما الى فضاء وسارا .. لا صوت ولا نأمة إلا وقع اقدامهما على الحشائش، يده في يدها وفي قلبها احاسيس تضطرم وودت لو يعود بها ولكنها لم تطلب اليه ذلك .. وكأنما قرأ ما يجول في فكرها وأحس بما يصطرع في قلبها فجذبها اليه وقال لا تخافيني فأنا احبك ..

ولم تقل شيئاً .. ما كان بوسعها ان تقول شيئاً . كانت شفتاه على شفتيها دافئتين .. رفيقتين .

هل ذهبت بعيداً ؟.

لا تدري ، ولا تريد ان تدري .. كل ما تعقله وتعيه وتشعره ، احساسٌ بالحياة جديد .. قد ولد فيها الساعة ...

سميره عزام

دار النشر والتوزيع

بادارة : ادوارسابا

تتولى نشر وتوزيع الكتب الادبية والمدرسية على اختلافها ، وقد أصدرت حتى الآن سلسلة من الروايات البوليسية لبطلها « ارسين لوبين » وقصص المغامرات الرائعة، ومجموعة مختارة من القصص العالمي، فضلا عن بعض الكتب السياسية والتاريخية القيمة .

بناية اللعازارية — الطابق الثاني

تلفون اللعازارية : ٣٥ — ص.ب ٢٦٤٦